مرويات تقي الدين المقريزي عن الأمير الجلائري الشيخ حسن الكبير(740-757هـ/1339- 1356م) في كتابه السلوك

(قراءة في رؤية المدرسة التاريخية المملوكية لأحداث التاريخ الجلائري)

ا.م.د رياض عبد الحسين راضي والباحث : هيثم عودة السراي

جامعة واسط/ كلية التربية/ قسم التاريخ جامعة واسط/ كلية التربية/ قسم التاريخ

موضوع البحث هو: **(الأمير الجلائري الشيخ حسن الكبير في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمصنف المملوكي تقي الدين المقريزي، ت 845هـ)**، الموضوع في جوهره يبحث رؤية المدرسة التاريخية المملوكية لاحد أبرز رجالات الامارة الجلائرية، تلك الرؤية جاءت عبر المصنف تقي الدين احمد بن علي المقريزي الذي يعد من أبرز مصنفي العصر المملوكي.

تأتي أهمية الموضوع من العناصر المكونة له وهي: تقي الدين المقريزي ومصنفه (السلوك) والعنصر الثالث هو الأمير الجلائري الشيخ حسن الكبير.

فبالنسبة لتقي الدين المقريزي، مصنف يتمتع ببناء معرفي يقوم على ما درسه من علوم وعلى منْ درسّه من شيوخ، وعلى الخبرة التي اكتسبها من الوظائف التي تقلدها في مصر وخارج مصر، إضافة الى انه كان شاهد عيان على احداث عصره، كل ذلك مجتمعا جعل منه أشهر مصنفي مصر في العصور الوسطى، وصاحب باع طويلة في حقل التاريخ، وواسطة العقد للمدرسة التاريخية المملوكية.

اما بالنسبة لمصنفه(السلوك) يُعد من بين اهم المصنفات التي كتبها المقريزي، والذي عكس فيهما عصارة معرفته ورؤيته العلمية، والذي تحدث فيه عن تاريخ مصر بالدرجة الاساس وعلاقتها مع الدول الاخرى , وتحدث عن أحداث التاريخ الاسلامي عامة، وكان (السلوك) من أهم مؤلفات المقريزي التي سجلت أحداث ووقائع التاريخ التاريخ الجلائري ، التي اطلع على كثير من وقائعها واحداثها في الوثائق الرسمية الموجودة في الديوان المملوكي بحكم كونه كان موظفا في ذلك البلاط، الامر الذي

اعطى بعدا اخر من الأهمية لكتاب السلوك إضافة الى الأهمية التي يكتسبها من مصنفه المقريزي.

اما بالنسبة للشيخ حسن فهو يمثل نقطة تحول خطيرة في التاريخ المغولي كونه مؤسس امارة مغولية مستقلة قائمة لوحدها هي الامارة الجلائرية التي قامت بعد انهيار دولة مغولية أخرى هي دولة مغول فارس العراق(الايلخانيين)(الحكم) ، الذي استغل حالة التفكك والفوضى التي شهدتها بعد وفاة اخر سلاطينها الأقوياء بوسعيد بهادر خان(المدة).

وضمن هذا المحتوى تذهب فرضية البحث الى: ما المنظار الذي كان يرى فيه المصنف المملوكي تقي الدين المقريزي أحداث ووقائع تاريخ مؤسس الامارة الجلائرية؟

ولمعرفة تلك الرؤية تمت دراسات ما سجله تقي الدين المقريزي من روايات عن ذلك الرجل، والتي تم ادراجها تحدت عناوين مستقلة؛ لسهولة التعرف على تلك الرؤية.

أولا - مروياته عن الشيخ حسن الكبير أيام السلطان بوسعد، وعلاقته بالسلطة المملوكية. أشّر المقريزي في مروياته عن الأمير الجلائري[1] الشيخ حسن

(1) الجلائريين : اصلهم من عشيرة جلاير (جلائر) التي تعد من اهم العشائر المغولية واحد فروع قبيلة القا، وهي من غير الفرع الذي ينحدر منه جنكيزخان، موطهم الأصلي بلاد ماوراء النهر، وسموا بهذا الاسم نسبة الى قبيلتهم جلائر أو جلاير , ويعرفون كذلك بإسم الايلكانيون تيمناً بإسم زعيم قبيلتهم ايلكان نويان، قامت حرب بينهم وبين الخطا الذين كانوا يشكلون دولة كبيرة قبيل الغزو المغولي ، وكانت تقع بين مملكة الخوارزميين في الغرب ومساكن المغول في الشرق، و شاطئ نهر سيحون يكوّن حدا فاصلا بين ممالك القراخطائيين واقاليم الدولة الخوارزمية. في حربهم مع الخطا لم ينجوا منهم سوى عدد من الأسر دخلت فيما بعد ضمن قوة جنكيزخان، وشارك الجلائريون بزعامة ايلكان نويان الى جانب هولاكو في اكثر حروبه ، وبعد وفاة ايلكان التحق ولده آتي بوقا بخدمة السلطان أباقا حاكم دولة مغول فارس والعراق، وفي

أيام السلطان احمد تكودار بُعث آتي بوقا الى بلاد الروم(اسيا الصغرى) لإخماد فتنة هناك وتمكن منها عام (674هـ/ 1275م)، وحل بعده ولده حسين فصار من أتباع السلطان أولجايتو ومن بعده أستمر في خدمة السلطان بو سعيد وزوجه بإحدى بنات اسرته وأطلق عليه اسم كوركان بمعنى الصهر، وصار للأمير حسين ولدين الشيخ علي , والشيخ حسن الذين لقب ببزرك ويعني الكبير وهو مؤسس دولة الجلائريين , ارتفع شأنهم فترة حكم دولة مغول فارس والعراق (الايلخانيين) ،تلك السلالة المنغولية أي الجلائرية تمكنت من حكم العراق وغرب إيران وأذربيجان، بين سنوات 736- 835هـ 1336-1432م مستغلة تدهور الأوضاع في دولة مغول فارس والعراق، اول حكامها هو الشيخ حسن الكبير، كان مقر حكمهم بغداد، تبريز، ثم البصرة على فترات متقطعة. للمزيد عنهم انظر: عبد الله بن فتح الله البغدادي الغياثي, (كان حيا في عام 891هـ/ 1486م)، تاريخ الدول الاسلامية في الشرق(آسيا الوسطى , ايران , العراق , بلاد الاناضول , بلاد الشام) المعروف : بتاريخ الغياثي , تحقيق : طارق نافع الحمداني ,ط1(بغداد , مطبعة اسعد , 1975م) , ص 80 فما بعدها ؛ ابن خلدون , الخبر عن دولة التتر , ص 317 وما بعدها ؛ نوري عبد الحميد العاني، العراق في العهد الجلائري، دراسة في أوضاعه الإدارية والاقتصادية(بغداد:دار الشؤون الثقافية ، 1986)؛ شعبان طرطور، الدولة الجلائرية، (مصر: دار الهداية ، 1987)؛رغد عبد الكريم، العراق في عهد الجلائري؛زمباور، معجم الانساب والاسر الحاكمة، ص 387؛ القزاز , محمد صالح داود , الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية , (العراق , مطبعة القضاء في النجف الاشرف , 1390هـ/ 1970م) , ص 8؛ عباس اقبال اشتياني ، تاريخ ايران , ص 553 .

الكبير[2]ان هناك اتصالات بينه وبين سلطان مصر(الناصر ناصر الدين محمد[3]709- 741هـ/1309- 1340م)، ومنذ ان كان نائبا للسلطان بوسعيد[4]

([2]) هو حسن بن أقبغا بن ايلكان النوين الكبير الشيخ حسن كوركان(738 – 757 هـ/ 1337- 1356 م) وحفيد ابنة أرغون صاحب بغداد وهو زوج بغداد خاتون بنت جوبان القائد في جيش غازان وزوج أخت السلطان غازان , واحبها السلطان بو سعيد وتزوجها قهراً من زوجها الشيخ حسن الكبير، اطلق علية الشخ حسن الكبير تميزا له عن حسن الصغير بن دمرداش بن جوبان ، تعود اصوله القبلية الى قبيلة مغولية تعرف بالجلائرية، وبعد نزاع مع خصومه السياسيين تمكن من ان يكون حاكما على عراق العرب بعد وفاة اخر ايلخان مغولي(بو سعيد) لمدة سبعة عشر سنة(740- 757 هـ) وتعرف المدة التي حكم بها العراق هو واسرته مدة الحكم الجلائري، عن سيرته وعمله، انظر: ابي بكر قطبي اهري نجم، تواريخ شيخ اويس، جاب اول(تبريز: ستوده ، 1388)؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات،ج11،ص310-311؛ابن بطوطة، الرحلة،مج2،ص73؛ المقريزي ، السلوك، ج3،ص221؛ الغياثي ، تاريخ الغياثي، ص 80-86؛ عباس اقبال، تاريخ المغول، ص444- 445؛ رغد عبد الكريم احمد النجار، العراق في عهد الجلائري،(740- 814هـ/1339- 1411م) ط1، (بلا مكان طبع :بلا مطبعة، 2013م)، ص49، 56، 70.

(3) الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون ، من مواليد القاهرة في العام 684 هـ / 1285 لقب بـأبي المعالي وأبي الفتح جلس على تخت السلطنة ثلاث مرات، من 693 هـ / 1293 إلى 694 هـ / 1294، ومن 698 هـ / 1299 إلى 708 هـ / 1309 ومن 709 هـ / 1309 وحتى وفاته في عام 741 هـ / 1341. يعد من أبرز سلاطين الأسرة القلاوونية والدولة المملوكية. خاض حروباً ضد الصليبيين والمغول، وحروباً إصلاحية في الداخل ضد الفساد. شهدت مصر في مدة حكمه الاخيرة نهضة حضارية وعمرانية لم تشهدها في عهد أي سلطان آخر من سلاطين الدولة المملوكية. توفى بالقاهرة سنة741 هـ / 1341). للتفاصيل عن سيرته وعمله أنظر:الصفدي،الوافي بالوفيات،ج4،ص251؛ابن بطوطة،الرحلة، مج1،ص210، 212؛ الذهبي , سير اعلام النبلاء , ص 93 ؛ المقريزي , السلوك , ج2 , ص 249 ؛ ابن خلدون , ديوان المبتداء والخبر , ج5 , ص 483 وما بعدها ؛ بن تغري بردي , النجوم الزاهرة ,ج 8 , ص 120 وما بعدها ؛ ابن العماد , شذرات الذهب , ج8 , ص 336 ؛حياة ناصر الحجي ، السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ط1(الكويت: مكتبة الفلاح ، 1983)؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر،(القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت) الفصل الأول؛ محمد سهيل،تاريخ المماليك،ص211، 229- 252؛ محمود , شفيق جاسر أحمد , المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام , (المدينة المنورة , الجامعة الإسلامية , 1409هـ) , ص 112.

(4) ان اسم هذا السلطان هو بوسعيد وليس أبو سعيد على نحو ما هو شائع وذلك بناء على الوثائق الرسمية العائدة لحكمه تلك التي تخص المكاتبات الرسمية الداخلية والخارجية للسلطنة، وهذا الامر يوضحه الصفدي حين يذكر ان بو سعيد اسم علم يكتب بدون الف مستندا في ذلك على الوثائق التي كان قد اطلع عليها ، الوافي بالوفيات ، ج10، ص 202، وهذا الامر يؤيده أيضا ابن حجر العسقلاني الذي هو الاخر كان قد اطلع على بعض من تلك الوثائق على نحو المكاتبات التي جرت بين بوسعيد و السلطان الناصر محمد بن قلاوون المملوكي، ويعلق ابن حجر قائلا :ان الناس "يقولون أبو سعيد بلفظ الكنية والذي ظهر انه علم ليس فيه الف كما رايته في المكاتبات" انظر: الدرر الكامنة،ج2، ص 39 ، البدراوي، تطور الشيعة الامامية ، ص 253 هامش رقم (2). هو بو سعيد بن اولجايتو بن أرغون بن أبغا بن هولاكو اخر سلاطين دولة مغول فارس والعراق الأقوياء، قبل تسنمه الحكم عينه والده حاكم على خراسان وعمره سبع سنوات عام (713هـ/1313م) وكان بو سعيد يوصف بانه شخصية كريمة وشجاعة محب للادب والفنون نشأ في ثقافة الاسلام والثقافة الفارسية ،أعتنق المذهب المخالف لمذهب والده

بهادر حاكم دولة مغول فارس والعراق (الدولة الايلخانية) [5]، اذ ذكر انه في شهر جمادى الأولى من العام (729هـ/1329م) وصلت رسل الشيخ حسن الكبير الى مصر؛ لكن لم يعط تفاصيل عن مهمة تلك الرسل [6]، ومرة أخرى في العام نفسه وصلت رسل الشيخ حسن الكبير الى مصر بوفد مستقل عن وفد السلطان بوسعيد الذي هو الاخر أرسل وفدا للاطمئنان على صحة السلطان المصري (الناصر ناصر الدين محمد)، وكان ذلك في يوم عشرين من شهر رجب، وكلا الوفدين كرما من السلطان المصري واعيدا الى بلادهما يوم السابع والعشرين من شهر رجب من عام (729هـ/1329م)[7] ، وصلات الشيخ حسن الكبير تستمر مع السلطان المصري

توفّي بو سعيد بالأردو بِأَذربِيجَان فِي ربيع الآخر سنة (736هـ/1336م) وَله نَيف وَثَلَاثُونَ سنة. للتفاصيل عن سيرته وعمله أنظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص173؛ الصفدي , الوافي بالوفيات , ج10 , ص 202 ؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ،ص 89فما بعدها؛ بن تغري بردي , المنهل الصافي , ج5 , ص 33 .

([5]) الدولة الايلخانية تسمية تطلق على (دولة مغول فارس والعراق)، وهي تسمية شائعة الاستعمال بين كثير من الباحثين؛ لكن هذه التسمية (الدولة الايلخانية) فيها إشكالية إدارية/سياسية؛ لان تلك الدولة كانت تابعة للإمبراطورية المغولية العظمى التي كانت عاصمتها في الصين، وكان يطلق على متوليها ابان التبعية لقب ايلخان والذي يعني النائب عن القاآن الأعظم الذي مقره في العاصمة ابتداء من مؤسسها السلطان هولاكو (654 - 663هـ) حتى نهاية حكم السلطان بايدو(694هـ ـ 694هـ)، وقد انفصلت تلك الدولة في حكم السلطان محمود غازان (694- 703هـ)،وتحولت من ايلخانية الى خانية [اية دولة مستقلة] عن الإمبراطورية المغولية العظمى واستمر هذا الوضع حتى انهيارها في بدايات سنة 738هـ، فتصبح تسميتها بالدولة الايلخانية غير واقعية على وفق ذلك التطور السياسي وما اعقبه من اجراء اداري. وتفاديا للوقوع في نفس الإشكالية ايضا فضلنا ان نستعمل لقب سلطان لكل حكام تلك الدولة بدلا من الايلخان والخان. انظر: رياض عبد الحسين راضي البدراوي، "الشيعة الامامية الاثنا عشرية" في العراق خلال عهد المغول الايلخانيين (656 – 738هـ) دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد – كلية الآداب، 2014، ص201.

([6]) المقريزي، السلوك، ج3، ص 118.

([7]) المقريزي، السلوك، ج3، ص129.

حتى بعد ان استقل بالحكم كما سنرى لاحقا، وكان يهدف منها تحقيق هدفين رئيسين هما: الاحتماء بالسلطان المملوكي ـ بوصفه قوى لا يستهان بها ـ من غزوات الممالك والامارات المغولية المتاخمة، والهدف الاخر يضمن فيه استقرار دولته؛ لان المماليك يعدون انفسهم محتضنين الخلافة العباسية التي اسقطها المغول في بغداد سنة 656هـ /1258م، وجعلوا من القاهرة العاصمة البديلة، و صارت القاهرة تحتضن الخلافة العباسية، ، وهذا كله يمثل لعبة سياسية من المماليك بغية تسيدهم على العالم الإسلامي باسم الخليفة العباسي واستقطاب العالم السني باسره الى جانبهم في صراعهم مع الغول، لان كما هو معروف ان الخليفة العباسي كان يمثل زعامة العالم الإسلامي السني؛ لذلك كان لا يروق للمماليك ان يخرج عن سلطتهم احد، ومَنْ يخرج لم يتركوه من دون عقاب، لذلك صار الولاء للسلطان المملوكي ضمان للاستقرار لاسيما بعد الفراغ الروحي والسياسي الذي تركه الخليفة العباسي[8]، بتلك الرؤية كان يفكر الشيخ حسن الكبير.

وفي العودة الى رسل الشيخ حسن الكبير، يلاحظ في الكرتين ظهر فيهما الشيخ حسن الكبير النائب عن السلطان بوسعيد في بغداد حاكما مستقلا، لا ممثلا عن السلطان ضمن دولة يحكمها سلطان اوحد، متمثل بالسلطان بوسعيد سلطان دولة مغول فارس والعراق، وهذا التصرف يكشف امرين: الأول ضعف سلطنة دولة مغول فارس والعراق، والامر الثاني يكشف تطلعات الشيخ حسن الكبير في الانفراد بالسلطة، والذي يتحقق لاحقا بتأسيسه الامارة الجلائرية (736- 824هـ/1336- 1421م).

ثانيا. النزاعات التي خاضها الشيخ حسن الكبير من اجل الوصول الى عرش السلطة وموقف السلطة المملوكية من تلك النزاعات.

ان تلك التطلعات حتمت على الشيخ حسن الكبير ان يخوض سلسلة من النزاعات من اجل الوصول الى عرش السلطة، وروى المقريزي في حديثه عن الشيخ حسن الكبير جانبا من تلك النزاعات التي عصفت بدولة مغول فارس والعراق بعد وفاة

(8) انظر: البدراوي، تطور الشيعة الامامية، ص207- 208.

السلطان بوسعيد، الذي رحل ولم يترك وريث له يخلفه على عرش السلطنة والذي شكل ـ فقدان الوريث ـ عاملا كبيرا في النزاع على الحكم بين افراد الاسرة المغولية من اتباع دولة مغول فارس والعراق ودخول الدولة بحالة من التفكك والانهيار[9].

1- مروياته عن نزاع الشيخ حسن الكبير مع الأمير علي بادشاه.

ومن النزاعات التي خاضها الشيخ حسن الكبير والتي اشَّرها المقريزي، النزاع الذي خاضه ضد الأمير علي بادشاه[10] حاكم ديار بكر. بعد تولي ارباخان[11]

---

(9)عن انهيار دولة مغول فارس والعراق انظر : ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ،ج1، ص176 ؛ اشتياني ، تاريخ ايران , ص 496 ؛ القزاز , محمد صالح ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية (النجف: مطبعة القضاء، 1970م)، ص 488- 499 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية , الفصل التاسع.

(10) علي بادشاه هو: خال السلطان بو سعيد حكم بلاد ديار بكر(729- 734هـ/ 1329 – 1334م) بعد وفاة حاكمها سونتاي نوين عام (729هـ/ 1329م) وصار بجانب السلطان موسى بتاثير من بعض الامراء ودلشاد خاتون وحاجي خاتون ام بو سعيد للخروج على السلطان اربا خان وحدثت معركة انتصر فيها السلطان موسى على السلطان ارباخان , واطلقت يد الامير علي بادشاه في حكم شؤون البلاد واصبح نائب الملك موسى وقائد جيوشه . للمزيد أنظر: حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص 177- 180 المقريزي , السلوك , ج3 , ص 161 , 231 ؛ الغياثي , تاريخ الغياثي , ص 63- 73، 82- 86 ؛ اشتياني , تاريخ المغول , ص 345 ؛ فهمي , تاريخ الدولة المغولية , ص 236 . يرد عند الغياثي أيضا باسم على شاه أيضا وبهذا الاسم يذكره أيضا ابن بطوطة ويذكره بان حجر العسقلاني باسم علي باشه في حين ذكره ميرخوند في روضة الصفا باسم (علي بادشاه) انظر: الغياثي، تاريخ الغياثي، ص63هامش رقم (5).

(11) يسمه المقريزي اربا كاؤن. وير د بصور مختلفة أخرى مثل آربا كاون آربة وأربا واربای كاو، وهو أرباخان احد حفدة الأمير اريكا بوكا بن تولي خان بن جنكيزخان ، اختاره بو سعيد وليا للعهد، حكم اشهر معدودة من عام (736هـ/ 1337م)، مثل حكمة مرحلة الحكام الضعاف في دول مغول فارس والعراق الذين جاؤوا بعد السلطان بوسعيد، للمزيد عنه انظر: حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص 173 فما بعدها ؛ الغياثي، تاريخ الغياثي، ص63-70؛ فؤاد عبد المعطي الصياد، الشرق الادنى الاسلامي في عهد الايلخانيين اسرة هولاكوخان (قطر: منشورات مركز

(736- 736هـ/1335- 1335م) عرش دولة مغول فارس والعراق (الايلخانية)، اذ كان الشيخ حسن من اتباع ذلك السلطان والمقربين له وممثله في العراق العربي، في وقت كان الأمير الطموح علي بادشاه من الذين يبحثون عن سلطة ونفوذ أوسع ، لم تكن لهم حظوة عند السلطان ارباخان ، فقرر ـ مستغلا حالة الانهيار التي تعصف بدولة مغول فارس والعراق ـ ان يدعم رجل اخر العائلة الجنكيزية من اجل ان يحصل على سلطة ونفوذ في ظله كان الرجل هو موسى[12] بن علي ضد سلطان الوقت ارباخان واتباعه وعلى راسهم الشيخ حسن الكبير، ومن اجل ان يحقق حلمه في وصول مرشحه للسلطة للحصول على مزيد من النفوذ قرر ان يراسل سلطان مصر الناصر بن قلاوون لمساعدته في مشروعه السياسي القاضي بإبعاد السلطان اربا خان وتنصيب مرشحه موسى بن علي مكانه مقابل تسليمه بغداد التي كانت تحت هيمنة الشيخ حسن الكبير، وان يكون نائبا مطيعا له فيها، وقد رحب سلطان مصر بالفكرة التي تقدم بها الأمير علي بادشاه، وبعث له خمس قوافل، وخمسة سيوف، وتلك المساعدة حفزت الأمير علي بادشاه ان يخوض نزاعا مسلحا مع السلطان ارباخان واتباعه وكان الشيخ حسن الكبير ابرز أولئك الاتباع ، ونجح علي بادشاه في هزيمتهم وتنصيب مرشحه موسى(736-736هـ/1336-1337م) سلطانا على دولة مغول فارس والعراق المنهارة، بعد ان هرب الشيخ حسن الكبير واولاد سونتاي مؤيدي الشيخ حسن الكبير والمناهضين لعلي بادشاه الى بلاد الروم(اسيا الصغرى)[13].

الوثائق والدراسات الانسانية,1987).، ص 490فما بعدها ؛اشتياني , تاريخ ايران , ص 496 فما بعدها ؛ فهمي , تاريخ الدولة المغولية , ص 235 , 236 ؛ النفيعي , العلاقات السياسية , ص 130 .

([12]) هو موسى بن علي بن بايدو بن طرغاي بن هولاكو حكم حوالي ثلاثة اشهر ومرحلة حكمه تمثل مرحلة السلاطين الضعاف قتله امراءه في سنة (737هـ/1337م) ، . للمزيد عنه أنظر: ابن حجر العسقلاني , الدرر الكامنة , ج1 , ص 413 ؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ ، ص177 - 180؛ الغياثي، تاريخ الغياثي، ص 71- 77.

([13]) المقريزي، السلوك،ج3،ص202.

يفهم من مرويات المقريزي ان الشيخ حسن الكبير اضمحل دوره السياسي في المدة التي تلت وفاة السلطان بوسعيد، وانه لم يكن حاكما فعليا لبغداد، ولم تكن له سلطة على العراق العربي، ولم يكن له تأثير كما كان أيام السلطان بوسعيد، وهذا الامر يكشفه تعاون السلطان المملوكي الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون مع خصمه علي بادشاه، وعدم التفات السلطان المملوكي للشيخ حسن الكبير حين طلب الأخير النصرة ضد علي بادشاه على الرغم من العلاقة القديمة التي تربطه بالشيخ حسن الكبير، والامر الاخر الذي يكشف ضعف تأثير الشيخ حسن الكبير في تلك المدة هو إشارة المقريزي نفسه حين يصف علي بادشاه بانه **"حاكم بغداد في الباطن"**[14] في إشارة الى ان وجود الشيخ حسن الكبير بوصفه حاكم بغداد ظاهريا ليس الا، هذا امر والامر الاخر تشير روايات المقريزي ان سلطان مصر لم يضع اعتبار للصداقة بقدر ما يضع اعتبار لمصلحته السياسية، لذلك حين وصلته رسل الشيخ حسن الكبير بطلب النجدة ضد الأمير علي بادشاه يقول المقريزي: انه **" مطّل [أي سلطان مصر] بالجواب رجاء حضور خبر علي بادشاه"** [15]أي لحين يتأكد من موقف علي بادشاه هل انتصر ام لا، وفي ضوء ذلك الموقف يصيغ جوابه للشيخ حسن الكبير.

على اية حال، النزاع الذي خاضه علي بادشاه ضد السلطان اربا خان من اجل مرشحه للرئاسة (موسى) لم يخض المقريزي في تفاصيله؛ لكن المصنفات الأخرى روت تفاصيل ونتائج ذلك النزاع، وخلاصتهما ان على بادشاه تمكن في النهاية من ان يتخلص من السلطان اربكان ومن وزيره غياث الدين بن رشيد الدين ويغدو هو سيد الموقف [16]؛ لكن نشوة النصر عند علي بادشاه لم تستمر مدة طويلة ؛ لتحكمه بمقاليد الأمور والعمل لنفسه فقط على حساب الامراء الاخرين مما اثار حفيظة بقية

---

[14] المقريزي، السلوك،ج3،ص 202.

[15] المقريزي، السلوك،ج3،ص 202.

[16] للتفاصيل انظر: محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص 492- 493.

الامراء الذين يتوقون الى مناصب اعلى، وصلاحيات أوسع، وهذا الامر قاد الى ان يبحثوا عن خصم قوي لعلي بادشاه لينضوا تحت لواءه، وللتخلص من هيمنة الأمير علي بادشاه في الوقت نفسه، وخيارهم قد وقع على الشيخ حسن الكبير المتواجد في بلاد الروم(اسيا الصغرى) لانه كما ذكر قبل قليل فر الى هناك حين صارت الأمور في العراق العربي بيد علي بادشاه، وقد رحب الشيخ حسن ترحيبا كبيرا بالمنشقين عن الأمير علي بادشاه؛ لتوافق مطالبهم مع توجهاته وطموحاته السياسية[17]. وللالتحاق الامراء المنشقين به ولتحقيق طموحاته السياسية قرر ان يدعم مرشح اخر غير السلطان موسى بن علي ليحصل في ظله ما يريد من نفوذ ، ومن اجل ذلك خاض الحرب من جديد ضد غريمه علي بادشاه مدبر دولة السلطان موسى، مستغلا الوضع الحرج الذي يمر به الأمير علي بادشاه، ولما وجد على بادشاه ضعف موقفه بسبب انشقاق عدد كبير من الامراء عنه والتحاقهم بالشيخ حسن الكبير، اضطر ان يطلب النجدة من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون؛ لكن كما سبق ان ذكرنا ان سياسة السلطان المملوكي تقوم على مسك العصا من المنتصف[18]، وتلك السياسة يوضحها المقريزي في مروياته، فيذكر حين وصلت رسل الأمير علي بادشاه الى السلطان المملوكي قرر ان يرسل جيش يوهم السلطان موسى والأمير علي بادشاه بانه قادم لنجدتهم؛ لكن في الوقت نفسه أراد من ذلك الجيش ان يذهب الى مدينة

---

(17) انظر: العراق في العهد الجلائري ص 46.

(18) عن تلك السياسة انظر: محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص499- 500.

سيس[19] لوضع حد لصاحبها المدعو تكفور[20] ؛ لانه كان قد نقض الهدنة التي سبق وان عقدها معه المماليك، وفعلا تحرك الجيش المملوكي ونزل قريبا من الفرات حسب طلب الأمير علي بادشاه بغية اخافة عساكر منافسه الشيخ حسن الكبير بان السلطان المملوكي معه؛ لكن في الحقيقة ان الأوامر التي أعطيت لذلك الجيش وجيوش الشام هي ان تتحرك نحو سيس، وبذلك يكون السلطان المملوكي ارضى علي بادشاه والسلطان موسى، وفي الوقت نفسه لم يثير حفيظة الشيخ حسن الكبير ومرشحه للسلطنة (محمد) [21] عنبرجي[22]، وذلك التصرف من السلطان المملوكي عبر عنه المقريزي بقوله: **" ... واستقر الرأي على تجريد العسكر نحو سيس فإن تكفور**

([19]) مدينة سيس: تعد من مدن الثغور الشامية تقع بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة . أنظر: العزيزي ,الحسن بن أحمد المهلبي (ت 380هـ/990م) , الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك (نسخة المكتبة الشاملة) , جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف (بلا مكان : بلا مطبعة , د- ت) , ص 94 ؛ الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 297 ؛ بن بطوطة , رحلة بن بطوطة , ج1 , ص 55 .

([20]) هكذا أورده المقريزي وكذلك أورده ابن بطوطة قبله؛ يقصد به المقريزي هنا الامبراطور البيزنطي وحين الرجوع الى قائمة اباطرة الإمبراطورية البيزنطية في مدة زيارة ابن بطوطة وهي بداية العقد الخامس من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي يكون الامبراطور هو: أندرونيقوس الثالث باليولوج (1328 - 1341م) ولعل المقريزي اخذه من ابن بطوطة او اخر نقله عن ابن بطوطة انظر: ابن بطوطة ، الرحلة ، ج1،ص260، 270.

([21]) هو محمد خان بن يولقتلغ بن تيمور بن انبارجي ابن منكو تيمور بن هولاكو(736-738هـ/ 1336- 1338 م) , ورشحه الشيخ حسن الكبير لمنصب الايلخان أصبح أداة يتخذ منه حجة وذريعة لتنفيذ مشاريعه ومخططاته , وقتل الايلخان محمد خان عام (738هـ/ 1338م) في النزاع الدائر بين الشيخ حسن الكبير وحسن الصغير . للمزيد أنظر: حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ ، ص 180- 188؛الصفدي , الوافي بالوفيات , ج5 , ص 205 ؛ المقريزي , السلوك , ج3 , ص 206 ؛ ابن خلدون , تاريخ ابن خلدون , ج5 , ص 623 ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص 506- 509 ؛ اشتياني , تاريخ ايران , ص 498 ؛ فهمي , تاريخ الدولة المغولية , ص 238 .

([22]) هكذا يسمه المقريزي المقريزي والاصح (انبارجي) كما ورد في الهامش السابق

نقض الهدنة بقبضه على عدة مماليك وإرسالهم إلى مدينة آياس فلم يعلم خبرهم وقطع الحمل المقرر عليه ويكون في ذلك إجابة علي بادشاه إلى ما قصده من نزول العسكر قريبا من الفرات مع معرفة الشيخ حسن بأنا لم نساعد علي بادشاه عليه وإنما بعثنا العسكر لغزو سيس"[23].

لكن الحروب التي جرت بين الأمير علي بادشاه والشيخ حسن الكبير لم يخض المقريزي في تفاصيلها[24]، بل اكتفى بان النتيجة كانت لصالح الشيخ حسن الكبير، وانه تمكن من تنصيب مرشحه للسلطنة محمد يلقطلو[25] بن تيمور في شهر ذي الحجة يوم عيد النحر من العام (736هـ/1336م)، وحين حاول السلطان المخلوع موسى استرجاع عرشه هو ومدبر دولته علي بادشاه بعد دخوله بمعركة مع عساكر السلطان محمد ومدبر دولته الشيخ حسن الكبير وكانت تلك المعركة يوم 13 ذي الحجة من سنة (736هـ/1336م) قريبا من تبريز عند بلدة ناوشهر على جبل الأداغ[26]، وفيها تمكن الشيخ حسن الكبير من هزيمة عساكر السلطان موسى[27]، الذي هرب الى خراسان[28]، وقتل مدبر دولته علي بادشاه في تلك المعركة[29]، والعودة الى بغداد بعد غياب وصار هو المالك الحقيقي لها، وذرا للرماد في العيون جعل من محمد بن انبارجي سلطانا بديلا عن السلطان موسى [30].

---

(23) المقريزي، السلوك، ج3، ص 218- 219.

(24) للتفاصيل انظر: القزاز ، الحياة السياسية , ص494- 499.

(25) هكذا يسميه المقريزي والاصح هو يولقتلغ كما ورد في هامش التعريف الأسبق.

(26) هي في الحقيقة مجموعة جبال تقع على طريق مدينة خواجه وأتواستراد ميانه – زنجان على بعد 25 كيلومترا شمال شرقي مدينة تبريز بمحافظة آذربيجان الشرقية شمال غرب ايران جبال "آلاداغ لار" ذات ألوان رائعة وجميلة. عنها انظر الموقع السياحي على الشبكة العنكبوتية : ar.ifilmtv.com/iran/content/11308#

(27) المقريزي، السلوك، ج3، ص 206.

(28) المقريزي، السلوك،ج3، ص 231.

(29) المقريزي، السلوك،ج3، ص 206.

(30) المقريزي، السلوك،ج3، ص221.

وكان لانتصار الشيخ حسن الكبير على خصمه علي باداشاه ومرشحه السلطان موسى تاثيرها في التقرب من السلطان المملوكي الناصر الذي كانت سياسته تقوم على مناصرة الأقوى، وبالمقابل ان الامراء المتنافسين على العرش بعد انهيار دولة مغول فارس والعراق صار من صالحهم ان يتقربوا من السلطان المملوكي للحصول على الدعم لحماية عروشهم من هجمات الامارات المغولية المتاخمة لهم، ومن الامراء المنافسين الاخرين، وعلى وفق تلك السياسة التي يتبعها السلطان المملوكي والسياسية المقابلة لها من جانب الشيخ حسن الكبير، نرى الشيخ حسن الكبير يبعث برسله الى السلطان المملوكي طلبا للمساعدة، مقابل إعلان الولاء حفاظا على وضعه السياسي، ومثل هذا الامر يرويه المقريزي، ويذكر انه حدث في السابع عشر من شهر المحرم من العام (737هـ/1337م) حين قدمت رسل الشيخ حسن الكبير بزعامة مضر بن خضر[31] وبالمقابل أكرم السلطان المملوكي رسل السلطان وجهزهم بهدية سنية وكتب بالتهنئة الى الشيخ حسن الكبير بمناسبة (الانتصار)[32]. وكما يظهر من روايات المقريزي الانفة الذكر ان العلاقة بين المماليك والشيخ حسن الكبير لم تستمر ودية كما كانت أيام السلطان بوسعيد اذ تعكر صفوها قليلا بسبب موقف السلطان المملوكي من احداث الدولة المغولية في العراق وبلاد فارس، لاسيما موقفه من علي بادشاه خصم الشيخ حسن الكبير اللدود وربما احداث أخرى لم يذكرها المقريزي، وان ذلك الشرخ في العلاقات يحاول الشيخ حسن الكبير بعد ان صفت له الساحة السياسية ان يعالجه ويعيد العلاقة من جديد ويبعث برسله طلبا للصلح مع السلطان المملوكي.

2- نزاعه مع علاء الدين ارتنا بن جعفر.

ان الاحداث التي انشغل بها الشيخ حسن الكبير في مقارعة خصمه علي بادشاه، كانت قد هيأت الفرصة امام امير اخر متطلع لمزيد من النفوذ الا وهو علاء الدين

---

(31) المقريزي، السلوك،ج3، ص 211.

(32) المقريزي، السلوك،ج3، ص 221.

ارتنا[33] بن جعفر حاكم المغول في بلاد الروم(اسيا الصغرى) [34]؛ لكن الشيخ حسن الكبير الذي صار سيد الساحة في العراق العربي، الذي قوي مركزه بعد ان انضم اليه الأمير حيار بن مهنا[35] والذي بقى التعاون بينهما مستمرا[36]. قرر في العام (738هـ/1338م) ان يصفي حسابه مع الأمير ارتنا حاكم بلاد الروم؛ لكن حين عرف الأمير ارتنا بقوة الشيخ حسن الكبير قرر ان يجاريه، وقبل ان تصله قوات الشيخ حسن الكبير اليه، وصلت رسله للشيخ حسن تحمل هدية وكتاب فيه يقدم فروض

---

(33) هو علاء الدين أرتنا بن جعفر أمير بلاد التركمان المعروفة ببلاد الروم (اسيا الصغرى)أيضا وبنو أرتنا كانوا بسيواس وقيصرية ونيكده وأماسية وقرا حصار وكمش، وقد حكم علاء الدين أرتنا بن جعفر سنة 736 هـ واستقل بعد موت السلطان بوسعيد سنة 738هـ، ومد أواصر العلاقة مع الناصر محمد بن قلاوون حاكم مصر ، مَاتَ فِي سنة 753 هـ وخلفه ولده غياث الدين محمد ، عنه انظر : الصفدي , الوافي بالوفيات , ج8 , ص 219 ؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ،ص189، 207، ؛ العمري , التعريف بالمصطلح الشريف , تحقيق: محمد حسين شمس الدين ,ط1 , (لبنان –بيروت , دار الكتب العلمية , 1408 هـ/ 1988م) , ص 67 , 69 ؛ ابن تغري بردي , المنهل الصافي , ج2 , ص 294 ؛ ابن شاهين , نيل الامل , ج1 , ص 237 , 238 ؛ ابن حجر العسقلاني , الدرر الكامنة , ج1 , ص 413 , 414 ؛ زمباور ، معجم الانساب والاسر الحاكمة , ص 232 .

(34) المقريزي، السلوك،ج3، ص 231.

(35)المقريزي، السلوك،ج3، ص 241. وحيار بن مهنا هو: حيار بن مهنا بن عيسى،هو من آل فضل، من طيِّئ: أمير بادية الشام. آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه فياض سنة 762 هـ وكان مواليا لسلاطين مصر والشام، وتابعا لهم، فنقض طاعتهم سنة 765هـ وابتعد في القفر يعيث وينهب، وشفع به نائب حماة، فعفى عنه وعاد إلى ولائه. ثم انتقض سنة 770 هـ وعاد سنة 775 هـ معفوّا عنه، فاستقر إلى أن مات , وأختلف المؤرخون في تاريخ وفاته بين سنة (774هـ/ 1372م) و(777هـ/1375م) . للمزيد أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج14 , ص 365 ؛ المقريزي، السلوك ,ج4 , ص 381 ؛ابن حجر , الدرر الكامنة , ج2 , ص 201 ؛ الاعلام , ج2 , ص 289 ؛ النجار , العراق في العهد الجلائري , ص 71 .

(36) حين حدث اعتداء من بعض العرب المناهضين للأمير حيار بن مهنا، امده الشيخ حسن الكبير بالمساعدة العسكرية لمواجهة أولئك المناهضين. السلوك، ج4 , ص 117.

الطاعة والولاء ويسأل فيه أن يكون نائب السلطان في بلاد الروم مقابل ان يضرب السكة باسمه والدعاء له على منابره، وحين قدمت رسل ارتنا رحب بهم الشيخ حسن الكبير واكرمهم وكتب له بنيابة بلاد الروم (اسيا الصغرى) [37]، ويعطي المقريزي بوصفه مطلع على وثائق الديوان المملوكي، وكونه موظف في البلاط المملوكي الأسباب التي دفعت الشيخ حسن الكبير على التحرك لمحاربة ارتنا والتي يعللها بتخوفه من الانفراد ببلاد الروم، وبالتالي يشكل مصدرا خطرا عليه الى جانب الممالك المغولية الأخرى المتاخمة لحدوده ، وعن انصياع ارتنا للشيخ حسن الكبير يعلله بتخوف ارتنا من ابن دلغادر[38] الذي بدأ يغير على اطراف امارة ارتنا (بلاد الروم)[39] وعن تخوف ارتنا من ابن دلغادر قال المقريزي: **"فخشى أرتنا منه[ابن من ابن دلغادر] أن ينازعه في مملكة الروم أو يكون مع الشيخ حسن الكبير فرأى**

([37]) المقريزي، السلوك، ج3، ص 241.

([38]) هو زين الدين عبد الرشيد قرآجا بن دلغادر التركماني (738- 754هـ/ 1337 - 1353م) مؤسس امارة دلغادر ، ينحدر من احدى الطوائف التركمانية التي تسمى البوزقية وتلك الطائفة استقرت في بلاد الشام وما حولها ، وترجع تلك الطائفة الى ارتق التركماني، بعد وفاته خلفه عدد من الامراء كان اخرهم هو علي دولات الذي سقطت الامارة في عهده على يد العثمانيين بقيادة السلطان سليم في سنة 921هـ للمزيد عن سيرته وعمله انظر :.ابو الفداء , المختصر في اخبار البشر , ج4 , ص 145 ؛ ابن الوردي , تاريخ ابن الوردي , ج2 , ص332 ؛ الصفدي , اعيان العصر , ج4 , ص 83 ؛ ابن تغري بردي , المنهل الصافي , ج6 , ص 183 ؛ ابن حجر العسقلاني , الدرر الكامنة , ج2 , ص 328 ؛ ابن تغري بردي , المنهل الصافي ,ج6 , ص 183 ؛ نيل الامل , ج1 , ص 253 , 259 . وعنه وعن الامارة أيضا انظر: ايمان تيسير محمد العدوان ، امارة دلغادر 740- 921هـ / 1339- 1515م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة مؤته، عمادة الدراسات العليا، 2003؛ زامباور ، معجم الانساب والاسر الحاكمة، ص 235- 236.

([39]) المقريزي، السلوك،ج3، ص 241.

الاتجاه إلى السلطان أقوى له وأسلم فإنه إما يمده بعسكر يتقوى به على أهل الشرق أو يأوي إلى بلاده إن انهزم"[40]**.**

وبعد ان تم تصفية خصمه العنيد علي بادشاه وبعد اخضاع الأمير ارتنا بدأ يفكر الشيخ حسن بإصلاح العلاقة مع السلطان المملوكي، تلك العلاقة التي تصدعت بسبب موقف السلطان المملوكي النزاع المغولي ـ المغولي في دولة مغول فارس والعراق والذي كان يراه الشيخ حسن الكبير في غير صالحه كما سبق ان نوهنا له، اذ نجد الشيخ حسن في عام (738هـ/1337م) يبعث وفدا بقيادة المجد السلامي[41] الى السلطان المملوكي من اجل عقد صلح بين الطرفين، وقد استجاب السلطان المملوكي لذلك الطلب وتم الصلح بين الطرفين [42]**.**

3ـ نزاعه من الشيخ حسن الصغير.

بقى على الساحة السياسية من المنافسين الاقوياء للشيخ حسن الكبير رجل اسمهُ يطابق اسمهِ الا وهو الشيخ حسن[43] بن دمرتاش بن جوبان على اية حال تحرك

([40]) المقريزي، السلوك،ج3، ص 241.

([41]) سبق ان مر التعريف به في الثالث.

([42]) المقريزي، السلوك،ج3، ص 241.

([43]) هو حسن بن تيمور تاش وتميزا له عن الشيخ حسن بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيدكين سبط القان أرغون أبغا بن هولاكو بن طولي بن جنكيزخان، عرف الشيخ حسن بن دمرتاش بحسن كوجك (الصغير بالفارسية) والشيخ حسن بن الأمير حسين بحسن برزك (أي الكبير)، وتأمر بسيواس بعد قتل أبيه (728- 744 هـ/1328- 1343م) , وكان له تاثير كبير في الاحداث التي تلت موت السلطان بو سعيد ، انتهت حايته في سنة(744هـ/1343م) على يد زوجه , عنه أنظر: ابن الوردي , تاريخ ابن الوردي , ج2 , ص 328 ؛ الصفدي , الوافي بالوفيات , ج11 , ص 315 ؛ ابن حجر العسقلاني , الدرر الكامنة , ج2 , ص 62 ؛ ابن تغريبردي المنهل الصافي , ج5 , ص 72 , 73 ؛ ابن العماد , شذرات الذهب , ج8 , ص 313 ؛ شرف خان البدليسي، شرفنامة في تاريخ سلاطين آل عثمان ومعاصريهم من حكام ايران وتوران ، تعريب، محمد علي عوني، ط2(دمشق , دار الزمان، 2006) ج2، ص 43.

الشيخ حسن الصغير مع أولاد دمرتاش نحو ديار بكر في العام (738هـ/ 1337م)[44]، كان ذلك التحرك قد اقلق الشيخ حسن الكبير كثيرا؛ لأنه في حال تمكنوا من حاكمها طغاي[45] بن سوناي، فسيكونون مصدرا خطرا على الشيخ حسن الكبير، وبغية معالجة الموقف، قرر الشيخ حسن الكبير في سنة 738هـ / 1337م ان يبعث برسله الى السلطان المملوكي ليكون وسيطا في الصلح بينه وبين حاكم ديار بكر طغاي بن سوناي، لكي يتوحدون ضد الشيخ حسن الصغير الذي يشكل المصدر الأخطر لتطلعات ومطامع الشيخ حسن الكبير، وقد راقت الفكرة للسلطان المملوكي ما دام فيها عروض سخية[46] من جانب الشيخ حسن الكبير، لذلك قرر السلطان المملوكي(الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون) في العام (740هـ/1339م) ان يكلف احد اقاربه والمدعو الأمير احمد الساقي[47] ليقوم بتلك المصالحة بين الشيخ

([44]) المقريزي، السلوك،ج3، ص 246.

([45]) هو طغاي (طغان)بن سوتاي الْحَاج طغاي التتري، صاحب ديار بكر حكم مدة بعد وفاة والده سنة 732هـ ، خاض عدة حروب مع علي بادشاه خال السلطان بوسعيد ، ولتحمله وصبره في الحروب وصفه علي بادشاه بانه حمار حرب ، قتل على يد إبراهيم شاه ابن أخيه با رنباي في سنة (744هـ/1343م) . عنه انظر : الصفدي , الوافي بالوفيات , ج16 , ص 256 - 257؛ حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ، ص 199؛ابن حجر ، الدرر الكامنه، ج2، ص 382- 382؛ المقريزي , السلوك , ج3 , ص 410 .

([46]) بعث الشيخ حسن بكتاب مقابل الصلح مع حاكم ديار بكر طغاي بن سوناي يتضمن طلب عسكر يتسلم بغداد والموصل وعراق العجم ليقام بها الدعوة للسلطان المملوكي، المقريزي، السلوك، ج3، ص 241.

([47]) هو أحمد بن بدليك، الأمير شهاب الدين، المعروف بأمير أحمد السّاقي، مشدّ الشرابخانة، النّاصريّ. حمد بن بدليك، ورد هو وأخوته الأمير سيفُ الدين شادي، وسيف الدين حاجي، وركنُ الدين عمر إلى مصر من البلاد الشرقية، أصله من الأويراتية. كان مملوكا لبكتمر الساقي ثم استعمله الناصر محمد بن قلاوون ساقيا له بعدما اعجب به، ثم علا امره ، وارسله السلطان الناصر محمد سنة 740هـ للصلح بين الشيخ حسن الكبير وبين طغاي بن سوناي، ثم تنقل في المناصب صار نائب للسلطان في صفد ثم حماة قتل سنة (754هـ/ 1353م).عنه انظر: الصفدي,

حسن الكبير وحاكم ديار بكر طغاي بن سوناي، وفعلا نجحت مساعي السلطان المملوكي في الصلح[48]؛ لكن تلك المصالحة التي سعى بها السلطان الناصر لم تبعث بالاطمئنان على خلفه وابنه السلطان المنصور سيف الدين ابي بكر[49] بن الناصر(741 - 742هـ/ 1340- 1341م) الذي يبدو انه كان يشك في نوايا الشيخ حسن الكبير وحاكم ديار بكر طغاي بن سونتاي، وهذا الأمر يكشفه طلبه من كل حاكم ان يقدم رهينة عنه مقابل المساعدة العسكرية التي يقدمها لهما ، فقدم حاكم ديار بكر ابنه برهشين، وجهز الشيخ حسن ابن أخيه ابراهيم شاه، ليكونا رهينتين لدى السلطان المملوكي[50]، وقد وصلا الى القاهرة يوم الأربعاء سادس ذي الحجة من العام (741هـ/ 1340م) وأجريت لهم مراسيم الاستقبال المطلوبة، وشرع السلطان المملوكي ان يجهز العساكر المطلوبة للشيخ حسن الكبير وحليفه طغاي سوناي حاكم ديار بكر[51]، وبينما هما في انتظار قدوم العساكر المصرية وصلتهما الانباء بتقدم الشيخ حسن الصغير مع بقية أولاد دمرتاش نحو الشام، وقد وصلت عساكر أولاد دمرتاش الى مشارف الشام ولم تصل المساعدات المصرية ، الامر الذي جعل وضع

اعيان العصر , ج1 , ص 177- 186 ؛ المقريزي , المقفى الكبير , ج1 , ص 214 - 215 ؛ ابن شاهين , نيل الامل , ج1 , ص 207 , 219 , 248 .

(48)المقريزي، السلوك،ج3، ص 279.

(49)هو الملك المنصور سيف الدين ابو بكر بن الناصر محمد بن قروون (741هـ 742هـ/ 1341م) حكم البلاد بعد وفاة والده بوصية منه له بالحكم وكان عمره عشرين عاما دام حكمه شهرين ولقب بلقب جده , ولد في القاهرة سنة (721هـ/ 1321م) وهو أول أؤلاد الناصر حكم البلاد من بعد أبيه , والثالث عشر تسلسله من حكام المماليك , خلعه الامراء عن السلطنة (742هـ/1341م) ونصبوا أخيه علاء الدين كجك صاحب السبعة أعوام، عنه أنظر: ابن كثير , البداية والنهاية , ج14 , ص 222 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج10 , ص 2- 17 ؛ المقدسي , التاريخ المعتبر , ج2 , ص 171 ؛ عاشور , العصر المماليكي , ص 126 – 128 ؛ طقوش , تاريخ المماليك , ص 301- 303 .

(50)المقريزي، السلوك،ج3، ص297.

(51)المقريزي، السلوك،ج3، ص298 - 299.

الشيخ حسن الكبير حرجا، بسبب عدم وصول العساكر المصرية في الوقت المحدد، وعلى اثر تلك التطورات العسكرية، قرر طلب الصلح من أولاد دمرداش الذي يترأسهم حسن الصغير وسار الشيخ حسن الكبير اليهم طائعا بعد ان اقسم لهم انه سيكون حليفا لهم حسب رواية المقريزي، بعدها كتب أولاد الدمرداش امانا لحاكم ديار بكر واتفق الطرفان على أن يعبر أولاد الدمرداش الفرات إلى الشام[52]، وفي شهر صفر من العام (742هـ/ 1341م) أُستقبل احد أقرباء الشيخ حسن الصغير بحفاوة في بلاد الشام تعبيرا عما جرى من صلح بين الطرفين[53]؛ لذلك ليس من المستغرب ان يطلب السلطان المملوكي من الشيخ حسن الكبير وحليفه طغاي سوناي حاكم ديار بكر رهائن؛ لأنه يعرف تغير موقفهما حسب ما تمليه مصلحتيهما كما هو واضح من مجرى الاحداث التي يرويها المقريزي.

بعد ذلك الصلح الذي ابرم بين الطرفين وحتى مقتل [54] الشيخ حسن الصغير سنة (744هـ/ 1343م) لم يعط المقريزي اية اخبار عن العلاقة بين الحسنين [55].

4- نزاعه مع أولاد الدمرتاش اخوة الشيخ حسن الصغير.

بعدها يعاود الحديث عن الشيخ حسن الكبير، ويذكر ان الصلح بينه وبين أولاد الدمرتاش لم يدم اذ سرعان ما اندلعت الحرب من جديد بينهم وبين الشيخ حسن الكبير ففي شهر جمادى الاخرة من سنة (746هـ/1345م) تجدد النزاع بين الشيخ حسن الكبير حاكم العراق العربي وبين أولاد الدمرتاش أصحاب تبريز، وكانت الحرب

([52])المقريزي، السلوك،ج3، ص297.

([53])المقريزي، السلوك،ج3، ص334.

([54]) كان مقتله على يد زوجه، والسبب هو خوفا من ان يفتضح امر علاقتها المريبة مع شخص يدعى يعقوب شاه،شرف خان البدليسي، شرفنامة في تاريخ سلاطين آل عثمان ومعاصريهم من حكام ايران وتوران ، تعريب، محمد علي عوني، ط2(دمشق , دار الزمان، 2006) ج2، ص 43.

([55])المقريزي، السلوك،ج3، ص410.

لصاح الشيخ حسن الكبير[56]. وهذا النزاع يتكرر من جديد بين الشيخ حسن الكبير واولاد الدمرتاش في رجب من العام (749هـ/1348م) اذ حدثت معركة بين الطرفين، كانت الغلبة فيها لصالح أولاد الدمرتاش في بداية الامر [57]؛ لكن حدث ما لا يتوقعه أولاد الدمرتاش، وهو وقوع وباء اهلك كثير من قادة عساكرهم وعدد كبير من جنودهم مما اضطرهم العودة الى ديارهم لتكون فرصة تخلص فيها الشيخ حسن الكبير من خطرهم، وكتب الشيخ حسن الكبير تفاصيل الحدث للسلطان المملوكي[58] في إشارة من المقريزي بان الشيخ حسن الكبير كان ولاءه للمماليك. ويفهم من إشارة اخرى للمقريزي ان العلاقات بينه ـ بوصفه حاكم بغداد ـ وبين أولاد الدمرتاش حكام تبريز بقيت متوترة، وكل طرف يحاول ان يوقع بالأخر لدى المماليك ليكون هو الأقرب للسلطة المملوكية [59]، واستمرت حالة التوتر حتى وفاة الشيخ حسن الكبير سنة 757هـ [60]، وبقي اولاد الدمرداش بن جوبان (الجوبانيين) يشكلون مصدر قلق للجلائريين، ولم يتمكنوا من إزالة خطرهم الا بتدخل السلطان جاني بيك[61] سلطان قبيلة القبجاق، حين طلب منه أهالي تبريز ان يخلصهم من تسلط الملك الاشرف بن الدمرتاس، وقد استجاب السلطان جاني بك لطلبهم لطلبهم، واغار على الملك الاشرف

([56])المقريزي، السلوك،ج4، ص14.

([57])المقريزي، السلوك،ج4، ص77.

([58])المقريزي، السلوك،ج4، ص82.

([59])المقريزي، السلوك،ج4، ص122.

([60])المقريزي، السلوك، ج4، ص230.

([61]) جاني بك ، هو جاني بك بن غياث الدين محمد بن اوزبك ملك بلاد القفجاق (القبيلة الذهبية) تولى الحكم بعد ابيه محمد اوزبك سنة (742- 758هـ/ 1341- 1357م) للمزيد عنه انظر : ابن بطوطة ، الرحلة ، ج1، ص 256، 258 ،261، , ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون , ج5 , ص 607 , 623 ؛حافظ ابرو، ذيل جامع التواريخ،ص226؛ المقريزي،السلوك , ج3 , ص 371 ؛ النجوم الزاهرة , ج10 ,ص 74؛ الغياثي ، تاريخ الغياثي، ص84 ؛محمد سهيل طقوش، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند،ص 81- 84.

بن الدمرتاش وتمكن من اسره ثم إعدامه سنة (758هـ/1357م) [62] وهذا يعني ان تخلص الجلائريين من خطر أولاد الدمرتاش جاء عن طريق الغير وليس عن طريقهم.

الخلاصة والاستنتاج

ان الهدف المراد توضيحه في الصحائف السابقة هو: ما طبيعة وخصوصيات وجهة نظر المصنف تقي الدين المقريزي تجاه سيرة وعمل الأمير الجلائري الشيخ حسن الكبير بوصفه أي المقريزي ممثلا للمدرسة التاريخية المملوكية؟ وما تأثير العلاقة المملوكية ـ المغولية عامة والمملوكية ـ الجلائرية بشكل خاص على وجهة النظر تلك؟

ان المبتغى من هذا الهدف هو ان نبين المحاذير والايجابيات التي تكتنف رواية ذلك المصنف، فيما يتعلق بالشأن المغولي، كون أصحاب تلك المدرسة ـ بوصف المقريزي احد اهم اقطابهم ـ يعكسون في كتاباتهم وجهة نظر المؤسسة السياسية المملوكية المعادية في الغالب للمغول، وذلك الامر بطبيعة الحال يؤثر على دقة المعلومة، ويخلق صعوبات في الوصول الى الحقيقة، وعدم الوصل لها مؤكدا فيه تداعيات سلبية على المجتمع، وهذه بحد ذاتها تمثل احد اهم المشاكل، بل والتحديات التي تواجه الباحث الحديث والمعاصر في التاريخ الإسلامي واي تاريخ ؛ لان الكاتب والمؤلف في تلك العصور غلبا ما يكون قد وقع تحت تأثير المؤسستين السياسية والدينية اللتين ينتمي لهما، وكتاباته في تلك الحالة تؤثر على الحقيقة، لاسيما ان كانت مؤسساته معادية للطرف الذي يكتب عنه.

وعلى وفق هذه الرؤية فان المقريزي في مروياته يعطي ملخص عن كيفية انفراد الشيخ حسن الكبير بالسلطة بعد عدة حروب خاضها استمرت لأكثر من اربع سنوات نازع فيها خصومه ممن كانت لهم طموحات سياسية في السلطة من أمثال حاكم ديار بكر، واولاد الدمرتاش، فضلا عن مجاراته حكام مصر من المماليك واعلامهم بولائه المطلق لهم، ليعلن بعدها نفسه حاكما مستقلا عن الدولة المغولية (الايلخانية) في العام

([62]) انظر: النجار، العراق في العهد الجلائري , ص 66.

(740هـ/1339م). ويفهم من روايات المقريزي بشأن طلب الأطراف المتصارعة ود السلطان المملوكي بان المماليك صاروا اسياد الساحة الإسلامية بعد انهيار الدولة المغولية في بلاد فارس والعراق، كما يعطي في رواياته التي تحتل أهمية كبيرة كونها تعتمد على التقارير التي تصل مقر السلطة المملوكية في القاهرة كيف كان المماليك يديرون الصراع في العراق وبلاد الشام وفارس واسيا الصغرى عبر تابعيهم من المغول وغيرهم.

لكن مرويات المقريزي عن الأمير الجلائري الشيخ حسن الكبير في العموم كانت يتوقف اختصارها وتوسعها بقدر تعلقها بالسلطة المملوكية وهذه كانت في الحقيقة سمة بارزة لمرويات المقريزي ليس عن الأمير الشيخ حسن الكبير والجلائريين فقط، بل عن المغول بشكل عام. فمتى ما كانت المرويات تتعلق بصميم الدولة المملوكية اعارها اهتماما كبيرا، وبخلافه اكتفى بالإشارة العابرة او المقتضبة، ويلاحظ في مروياته ايضا الانحياز التام الى السلطة المملوكية، وهذا الامر مدعاة ان يجعلنا ان نتعامل بحذر مع مروياته في ذلك الشأن.

قائمة المصادر والمراجع